Proceedings of The 2nd International Conference on Science and Islamic Studies
ISSN: 3024-9058 (Online - Elektronik)
Volume: 2, 2024
Publisher: Program Pascasarjana, UIN Alauddin Makassar

تطور معنى اللغة العربية
(التحليل الدلالي للمصطلحات الشرعية في القرآن)

محصي ما النور. س

Correspondence email: muhshimannur7@gmail.com

ملخص

تناول هذا البحث التطور والتغيرات في معنى الكلمات باللغة العربية مع مرور الوقت. ويعود تطور معنى الكلمة إلى عدة عوامل، وهي: 1) عوامل لغوية، 2) عوامل تاريخية، 3) عوامل اجتماعية/ثقافية، 4) عوامل نفسية، 5) عوامل استيعاب اللغة الأجنبية، و6) الحاجة لمعاني جديدة، بالإضافة إلى عدة أمثلة لكلمات باللغة العربية طرأت عليها تغييرات/تطورات في المعنى. وتنقسم الكلمات التي تشهد بمعنى التطوير إلى قسمين: 1) كلمات مرتبطة بمصطلحات في الشريعة الإسلامية، 2) كلمات خارجة عن مصطلحات الشريعة.

الكلمات المفتاحية: المعرفة العلمية – علم الدلالة – تطور المعنى – القرآن

المقدمة

التطور في اللغة أمر حتمي يشبه أن يكون وجها من وجوه الحياة نفسها .وهو في معناه البسيط التغيير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها، أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها، وذلك كله نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في كافة مجالاتها.

وأشارت الدراسات اللغوية الحديثة إلى أن التطور الذي بصيب اللغة هو أمر حتمي "فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها والمحافظة على خصائصها (أنيس، ١٩٨٤) . ومن ثم لا يمكن لمجتمع الوقوف أمام تطور اللغة التي يتكلم بها، ذلك لأن تطورها هذا لا يجري تبعا للأهواء والمصادفات، أو وفقا لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جارية ثابتة مطردة النتائج واضحة المعالم، محققة الآثار، لا بد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي إليه (أبو عودة ،١٤٠٥) وهذا التطور الذي يصيب اللغة يصيبها في جميع مستويات من صوت وبنية وتركيب ودلالة، إلا أن هذا التطور أكثر ما يكون في الصوت والدلالة، وفي المفردات أكثر مما هو في التركيب. (قدور، ١٩٨٩)

Copyright © 2024: the Author(s)

عوامل التطور الدلالي وأشكاله ومظاهره

إن التطور الذي يصيب اللغة لا بد من أن يكون متأثرا بعوامل شتى منها عوامل خارجية كالصراع اللغوي الذي يحدث بين اللغات وعوامل داخلية تتمثل في اللغة نفسها وطريقة استعمالها. (وافي، ٢٠٠٤)، وقد لخص معظم اللغويين أسباب التطور الدلالي بالشكل التالي:

أولا - :أسباب دينية

ونقضي هذه الأسباب ينقل مدلول اللفظ من المعنى اللغوي إلى المعين الديني الحاجة شرعية، وستتطرق المقالة لاحقا إلى هذا الموضوع عند الكلام عن أثر التطور الدلالي في القرآن الكريم.

ثانيا : أسباب لغوية

بتغير مدلول الكلمة عند إلقائها من لهجة إلى أخرى أو من لغة إلى أخرى، وهي من أكثر الأسباب تعلق معاني الألفاظ، فكلما كان وضوح المعنى أكثر كانت الفرصة في التغير أقل والعكس صحيح أيضا، فمنها:

أ. سوء الفهم ويقصد به سوء فهم القارىء أو المستمع لمعنى كلمة فيفهمها خطأ ويكون ذلك عادة حين قراءة الكلمة أو سماعها لأول مرة، وقد يشيع هذا الخطأ، ويترتب عليه تطور دلالي للكلمة. (الدابولي، ١٩٩٥)

ب. التطور الصوتي لبعض الأصوات فبعض الألفاظ يتغير – أحيانا – شيء من أصواتها فينتج عن ذلك أن يتغير معنى اللفظ، وتماثل - بالتالي - تلك الكلمة كلمة " أخرى مغايرة لها في المعنى مثلا كلمة (كماش) الفارسية، والتي تعني نسبحا . قطن خشن، تطور فيها صوت الكاف فصار قافاً، فسائلت كلمة عربية لها معنى آخر وهي كلمة (قماش) والتي تعني أراد الناس، وما وقع على الأرض من فئات الأشياء ومتاع البيت، واكتسبت الكلمة العربية بهذه المماثلة دلالة جديدة على المنسوجات وقد يتغير المعنى بمرور الوقت يسبب تغير طبيعته أو وظيفته أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به، كالبريد والقطار، فالبريد مثلا كانت تعليق على الدابة التي تحمل عليها الرسائل، ثم أصبحت تطلق على النظم والوسائل التي تتخذ لتنظيم هذه العملية في الوقت الحاضر والقطار في الماضي هو مجموعة من الإبل على نسق واحد تستخدم في السفر .واليوم هو مجموعة من العربات المتصلة ببعضها تسير بوسائل ميكانيكية. (الوائي، ٢٠٠٤)

ثالثا : أسباب اجتماعية

تأثر اللغة أينما تأثر بحضارة الأمة إما بنظامها وتقاليدها، وعقائدها واتجاهاتها ودرجة ثقافتها، ونظرها إلى الحياة، وأحوال بيشنها الجغرافية، وشؤونها الاجتماعية العامة .فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداد أداة التعبير، ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب .فبالوقوف على المراحل التي اجتازتما لغة ما، وفي ضوء خصائصها في كل مرحلة منها، يمكن استخلاص الأدوار التي مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم. (الوافي، ٢٠٠٤)

وما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق وانسجام، يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية، فجميع خصائص الإقليم الطبيعية تنطليع في لغة سكانها .ولذا نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية وبين المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية،و كذلك نشأت فروق غير بسيرة بين الفصيلة اللغوية الواحدة بل بين لهجات للغة الواحدة .ومن أجل ذلك أيضا غزرت في كل لغة المفردات التي تدور حول مظاهر بيئتها الجغرافية ودقة دلالتها والبنت في شتى فنون القول. و من أجل ذلك أيضا كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه في كل لغة مستمدا من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد ومن أجل ذلك أيضا تمثل في أسلوب اللغة وفنونها الأدبية ما مختص به بيئتها الطبيعية تلبداً أو صفاء، وقبحا أو جمالاً، وصخباً أو هدوء، وتنوعاً أو اطراداً، وتقلباً أو نباتاً، وما ينبعث عنها من رخاوة أو فوق وحمول أو نشاط، وخشونة أو نعومة، ولذا يستطيع الباحث معرفة البيئة الأولى التي نشأت فيها لغة ما على ضوء مفردات هذه اللغة وغزارتهما في بعض النواحي، وما تجنح إليه أساليبها ومادتها في الخيال والتشبيه وخواص آدابها مظاهر النشاط الاقتصادي تطع اللغة كذلك بطابع خاص في مفرداتها ومعانيها وأساليبها وتراكيبها .ومن ثم اختلفت مظاهر اللغة في الأمم والمناطق تبعا لاختلافها في نوع الانتاج ونظم الاقتصاد، وشؤون الحياة المادية والمهنة السائدة والزراعة، الصناعة، التجارة، الصيد، ورعي الأغنام .وقد تؤثر هذه المظاهر في أصوات اللغة نفسها فقد يؤدي نوع العمل الذي يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم في صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونيرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتي.

اللغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة .فعقائد الأمة وتقاليدها، وما تخضع له من مبادىء في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم من نظم بصدد الموسيقي والنحت والرسم والتصوير والعمارة وسائر أنواع الفنون الجميلة .كل ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة مخاصة في جميع مظاهرها :الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب.

وكان للإسلام ما أتى به من تطور فكري و اجتماعي آثار بعيدة في اللغة وتطوير معاني الكثير من ألفاظها التي لم تكن مستعملة من قبل، وألبس ألفاظا قديمة معاني جديدة لم تكن تلبسها وتدل عليها، وأشار (الدكتور مازن مبارك ،١٩٧٠) إلى أن ابن فارس ذكر إلى جانب الألفاظ الإسلامية ألفاظاً عربية كانت مستعملة قبل الإسلام ثم زالت بمجيئه فقال :ومن الأسماء كانت وما زالت يزاول معانيها، قولهم (المرباع، والنشيطة، والفضول، والنواتج ومما ترك أيضا والأدارة والكنى والحلوان) وكذلك فوقها أعم صباحا وأعم والأمر.

رابعا -:أسباب تاريخية

وهي أسباب ناتجة عن تغير المجتمع أو الأشياء، وتعني انتقال اللغة من جيل إلى جيل، وعلى الرغم من أن الطفل يأخذ اللغة عن أبويه والمحيطين به، فإذ لغة الخلف في كل أمة تختلف عن لغة السلف في كثير من

المظاهر، وبخاصة مظاهر الصوت. ويرجع جزء بسير من نواحي هذا الاختلاف إلى أمور خاصة مقصورة على بعض الأفراد: كالعيوب الصوتية التي يصاب بها بعض الناس، وضعف السمع واختلاف أعضاء النطق وما إلى ذلك. (وافي، ٢٠٠٤)

والتطور إما أن يكون شعوريا أو لا شعوريا، فالتطور الشعوري في كل لغة وفي كل بيئة ولا يقطن إلا بعد المقارنة ما بين العصور والتطور المقصود المتعمد الذي يقوم به المهارة من صناع الكلام كالمجامع اللغوية، وهذا التطور يحصل في مدة قصيرة. (أنيس، ١٩٨٤)

التطور الدلالي في القرآن الكريم

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، واللغة العربية شأنها شأن اللغات جميع عرضة للتطور، إذ إن اللغات كافة تخضع لسنة التطور .ومما لاشك فيه أن الإسلام حدث خطير في تاريخ العرب واللغة العربية، وقد أسهم إسهاما كبيرا في تطورها، ولذل، (أحمد بن فارس ،١٩٩٧)، يقول " : كانت العرب في جاهليتها على أثر من آثار أبائهم في لغاتهم وأدائهم، ونسائهم، وقراباتهم، فلما جاء الله حل شاؤد بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، اللغة الفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت ونقلت من وشرائط شرطت فعفى الآخر الأول...."

لقد وردت في القرآن الكريم كثير من الألفاظ التي تطورت دلالتها عما كانت عليه في الجاهلية تعميما أو تخصيصا أو انتقالا في الدلالة ولا سيما بالألفاظ الإسلامية أو المصطلح القرآني، وأشار إلى هذا الكثير من المفسرين في تفاسيرهم. (زاهد، ٢٠٠٢)

ويمكننا أن تعرض بعضا من الألفاظ والمراحل التي مرت منها..

الإيمان والمؤمن

أصل المادة يعني الأمن الذي هو ضد الخوف، ثم تطورت إلى معناها الأمانة ضد الخيانة، ومن ثم تطورت إلى الإيمان بالتصديق، (أبو عودة ١٩٨٥) فلهذا نجد أن كثيرا من المفسرين ذكروا عدة أقوال في أصل معين (الإيمان)، وهي:

- الأول :التصديق، أي أن المؤمن هو الذي يصدق بالشيء، كذلك الذي يصدق فعله مع قوله. (الطبري، 2001) (كقوله تعالى) :قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) .(الحجرات :١٤) لأن أعمال الأعراب لم تكن تصدق أفواهم.
- الثاني :الأمان، أي أن المؤمن هو الذي يؤمن نفسه من العذاب أو غيره. (الطوسي ١٤٠٩)
- الثالث: الوثوق والسكون والطمأنينة، قال الزمخشري: " وأما ما حكى أبو زيد عن العرب : ما آمنت أن أحد صحابة – أي ما وثقت – وحقيقته: صوت ذا أمن به، أي سكون وطمأنينة .." (الضير سي، ١٩٩٥)

ثم أشار المفسرون بعد ذلك إلى المعنى الشرعي الذي انتقلت إليه لفظة (الإيمان) فأصبحت لفظة الإيمان كلمة جامعة الإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل (الطبرسي، ١٩٩٥) أو هو التصديق

بالقلب والعمل بالأركان والقول باللسان،(الطرسية) فانتقلت من معناها العام وهو التصديق والأمان والوثوق والسكون والطمأنينة إلى معنى خالص شرعي.

الإسلام والمسلم

مدلولات كلمة (الإسلام) في الحياة الجاهلية، كانت تعني البراءة والتسليم والخضوع، ثم من العام تطورت فأخذت تطلق على الخضوع والتذل الله تعالى وحده، أي انتقلت دلالة اللفظة . إلى الخاص (أبو عودة (١٩٨٥) وأصل الإسلام الاستسلام لأنه استسلمت لأمره، وهو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع والإقرار بجميع ما أوجب عليه الطوسي .

الكفر والكافر

ذكر المفسرون أن أصل معنى الكفر التغطية والستر، ولذلك سمي الليل كافرا لأن ظلمته تغطي - لسته. وذكر شعراء كثيرون هذه الكلمة في أشعارهم بمعنى التغطية. فالتريب إذا غطى الرماد فهو رماد مكفور، والماء في النهر إذا غطى ما فيه قهر هر كافر، وسميت أتمام الزرع بالكافور لأنه يكون فيه رسمي وعاء الطلعة الذي يستر القلب بالمكفري، وسمي الزراع كافرا لانه يقوم بتغطية البذر أثناء الزراعة (الطبرسي، ١٩٩٥) ومنه قوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْثَاءِ كَمَثَلِ نَيْنِ أَسْحَبَ الْكُفَّارَ باله ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ خَطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَان وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلى مَتَاعُ الْغُرُورِ} (الحديد: ٢٠) وسمي الذي يتغطى بالسلاح متكفراً به، ثم تطورت دلالة الكفر من التغطية إلى معنى آخر وهو ححود الله سبحانه وتعالى وما جاء به أنبياؤه ورسله. (الطوسي، ١٤٠٩). وعندما تقول للجاحد كافراً، إنما يأتي هذا لتغطيته مبادئ الإسلام عن قصد كتغطية الزراع للبلو.

النفاق والمنافق

للكلمة عدة معاني في الجاهلية منها الزواج في البيع، قالوا: نعق البيع نفاق، والموت مثل: تفق الفرس أي مات، وأصل النفاق حسب رأي المفسرين هو دلالته على الخروج وهو مأخوذ من النفقة والنافقاء موضع يرفقه المربوع في حجره (أبو عودة، ١٩٨٥). ثم تطورت دلالته فأصبحت هذه اللفظة تدل على إسرار الكفر وإظهار الإيمان، قال (الطوسي،١٤٠٩): "والنفاق إسرار الكفر وإظهار الإيمان، فكل نفاق هو إظهار خلاف الإبطان.

وأصله من : نافقاء اليربوع، وهو أن يجعل السريه بابين بظهر أحدهما ويخفي الآخر، فإذا أتى من الظاهر خرج من الآخر، فالمنافق يقوي الباطل بالظن، له وإلقاء خلافة لتضييعه الدليل المؤدي إليه".

الفسق والفاسق

ذكر المفسرون قولين في أصل الفسق: الأول: إن أصل الفسق هو دلالته على الخروج، وهو مأخوذ من (فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها؛ ومن ذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها عن حجرها) (ابن منظور،

١٩٨٥)، ثم تطورت دلالة اللفظة فأصبحت تدل على الخروج والعدول عن أمر الله سبحانه وتعالى (الطوسي، ١٤٠٩).

والثاني: إن أصل الفسق هو دلالته على الاسماع، وإنما سمي المنافق فاسقا، لاتساعه في محارم الله (الطبري، ٢٠٠٢).

الصلاة

لقد ذكر المفسرون عدة أقوال في أصل الصلاة، وهي:

الأول: الدعاء، وعليه إجماع المفسرين ما عدا الزمخشري، وإنما سميت الصلاة بهذا الاسم "لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله يعمله مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته تعرض الداعي بدعائه زبه استنجاح حاجاته وسؤاله (العلوسي، ١٤٠٩). وفي قوله تعالى {وصل عليهم } (التوبة: ١٠٣) بمعنى ادع لهم. وقال الأعشى :

لها حارس لا يبرح الدهر بينها وإن ذبحت صلى عليها وزمزما

الثاني: اللزوم، أي أن الصلاة سميت بهذا الاسم لأن المصلي ملازم للعبادة فيها إلى حد معلوم قد أمر الله سبحانه وتعالى به. (الطوسي، ١٤٠٩). ويقول ابن منظور: والأصل في الصلاة اللزوم، والصلاة لزوم ما فرض الله تعالى، والصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بتزومه (ابن منظور، ١٩٨٥).

الثالث: الصلاء، ويقصد به وسط المظهر من الإنسان ومن كل ذي أربع وقيل: هو ما اتحدر الوركين، وقيل: هي الفرجة بين الجاعرة والذنب، وقيل: هو ما عن يمين الذنب وشماله والجمع صلوات وأصلاء الأولى مما يجمع من المذكر بالألف والتاء (موسوي، ١٤٢١هـ ١٦١ .(وقيل :عظم العجر لرفعه في الركوع والسجود واختاره الزمخشري.

وقال بعضهم: أصل الصلاة الصلاء، قال ومعنى صلى الرحل أي أنه أزالَ عن نفسه هند العبادة الصلاء الذي هو نار الله الموقدة، وبناء صلى كبناء مرض لإزالة المرض، ويستى موضع العبادة الصلاة، ولذلك سميت الكنائس صلوات كقوله: {قُدِّمَتْ صَوامع وبيع وصلوات ومساجد) (الحج: ٤٠) وكل موضع مدح الله تعالى يفعل الصلاة أو حث عليه، ذكر بلفظ الإقامة، نحو: (والمقيمين الصلاة - وأقيموا الصلاة - وأقاموا الصلاة، ولم يقل المصلون إلا في المنافقين نحو قوله تعالى: { فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) (الماعون: ٤-٥) لولا يأتونَ الصَّلاةَ لا وَهُم كسالى } . (التوبة: ٥٤) ثم تطور معنى الصلاة من المعنى العام الذي تدل عليه وهو الدعاء أو اللزوم أو تحريك الصلوين إلى معنى خصر خاص وهو عبارة عن الركوع والسجود على وجه مخصوص وأركان وأذكار وصة (الطوسي، ١٤٠٩).

السجود

السجود بمعنى الخضوع والانقياد لله تعالى قال تعالى: والنجم والشجرُ يَسجدان (الرحمن: ٦) أي: يخضعان ومن معاني الخضوع وأبرزها: الصلاة، فأطلق الله على الصلاة سجوداً، أي: حضوعاً الجبروته،

وكبريائه، ولقوته العظيمة، ورحمته الواسعة (البع، ٢٠٠٨)، قال تعالى: ولله يسجدُ مَنْ في السموات والأرض (الرعد: ١٥) أي :يصلي ثم تطورت دلالة هذا اللفظ من معناه العام إلى معنى خاص وهو عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة - والركوع والقنوت كذلك - وهو وضع الجبهة على الأرض (الطوسي، ١٤٠٩).

القنوت

القنوت هو المداومة على العمل، فالقانت هو المداوم على الشيء (الطوسي، ١٤٠٩)، مجا، وردت الكلمة في القرآن الكريم واقنتي لربك واسجدي ..) تمعنى "الطاعة والعبادة (٣٣٨ وقيل طول القيام في الصلاة وهو قول "الأكثرين (الكلي، ١٣٥٥). ثم تطور معنى القنوت إلى معنى خاص وهو ارتباطه بالصلاة فـ (القنوت في الصلاة : طول القيام بدلالة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : (أفضل الصلاة طول القنوت) يعني طول القيام الشريف الرضي، ١٩٩٧)

الصوم

استعملت العرب كلمة الصوم بمعنى التنقل من حال إلى حال. ويقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام، قال الله تعالى مخبرا عن مريم إنّي تذرتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَعَلِمَ الْيَوْمَ السَّيًّا (مريم: (٢)، أي سكونا عن الكلام...

وورد بيتان لامرئ القيس: قدعها ومن الهم عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجراي أبطأت الشمس عن الانتقال والسير قصارت بالإبطاء كالممسكة" (القرضي) ثم تطورت دلالته من . هذا المعنى العام إلى معنى خاص و"هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص" (الطوسي، ١٤٠٩).

الزكاة

ذهب المفسرون إلى أن الزكاة مأخوذة من زك الشيء ، يركو أي زاد و نما، يقال : ركا الزرع و زكت النجارة إذا زاد و تما كل منهما، ولم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية (النساء)، وزاد الشرع ع ما زاده فيها (بن) ،(فارس، ١٩٧٧)، وتستعمل أيضاً معين الطهارة ومنه قوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (الشمس: (٩)، أي قد أفلح من طهر نفسه من الأخلاق الرديئة، ثم استعملت الكلمة في اصطلاح المشريعة الإسلامية لقدر مخصوص من بعض أنواع المال يجب صرفه الأصناف معينة من الناس.

الحج

للحج معان كثيرة في اللغة العربية، منها الكف نحو حج عن الشيء أي: كف عن الشيء (الرعيني، ١٩٩٥)، والحج أيضاً هو الغلبة بالحجة، أي ترتيب الأفكار ترتيبا معينا، يقصد به الدلالة بقوة على فكرة معينة وانطلاقا من هذا المعنى استعمل لفظ الحج" للتعبير عن معنى "القصد" لأن الذي يجنح " إنما "يقصد" الوصول إلى تنتيجة معينة (ابن فارس، ١٩٧٧). كقوله تعالى :أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَتاج إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِذَ اللَّهَ يَأْتِي بانشش بين التشري

كانوا بين التغرب كيت الذي كفر والله لا تهدي القوم الطالبية) (البقرة: ٢٥٨) فهذه الآية تظهر بجلاء أن استعمال كلمة "الحج" بمعنى "القصد" و"الغلبة بالحجة"، ينير لنا السبيل في فهم العلوم بالشكل الصحيح والدقيق، وفي الحديث (فحج ادم موسى) (السيوطي، ٢٠٠٤) أي غلبه بالحجة. ويقول (ابن منظور،١٩٨٤) الحج : القصد، حج إلينا فلان أي قيم وحمه بحقه حما :قصده، وحججت فلاناً واعتمدته أي قصدته. وقد حج بنو فلان فلانا إذا أطالوا الاختلاف إليه"؛ قال المخبل السعدي:

وأَشْهَدُ مِنْ عَوْفِ حُلُولاً كَثِيرَةٌ يَعْمَلُونَ بِي الأَزْقَانِ أَو فقرًا

كثرة القصد إلى من تعظمه، فإذا ذهبت إلى محلك التجاري والمقصود من القصد هنا فلست حاجاً، فيجب أن تذهب إلى شيء تعظمه. ثم أصبح معناه في دين الإسلام قصد البيت الحرام في زمن مخصوص بنية أداء المناسث، من طواف، وسعي، ووقوف بعرفة وغيرها.

العمرة

أصل معين العمرة هو الزيارة والقصد، (الطبري، ٢٠٠٢) ولفظ العمرة مأخوذ "من العمارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له (الطوسي، ١٤٠٩). ثم تطور هذا المعنى العام إلى معنى خاص وهو زيارة بيت الله الحرام.

الطلاق

ذكر الطوسي والزمخشري أن أصل الطلاق هو دلالته على الانطلاق وهو ضد التقييد، وذكرا ما يدل عليه لفظ الطلاق من معان الغوية، فقال (الطوسي،١٤٠٩)"والمطلق الشوط من الجري والطلق قيد من قدم أو عقب تقيد به الإبل، ورجل خلق الوجه: بملول ضحاك ويوم طلق إذا لم يكن فيه حر، ولا قر والطليق الأسير يخلى عنه ورجل طلق اليدين: سمح بالعطاء..." وقال الزمخشري في معجمه (٢٠٠٦) "أطلقت الأسير، وهو طليق. وهو من الطلقاء، وأطلقت الناقة عقالها فطلقت، وهي طالق وطلق، وابل أطلاق، قال ذو الرمة: من تقاذفن اطلاقا وقارب خطوه عن الدود تقييد ومن حبائبه وثافة طالق ترعى حيث شاءت ولا تمنع وتطلق الظي: حلى عن فوائمه ومضى لا يلوي على شيء.... ثم ذكرا بعد ذلك المعنى الذي تطورت إليه لعظة الطلاق وهو الطلاق المعروف في الشرع وهو "حل عقدة النكاح بما يوجبه في الشريعة (الطوسي، ١٤٠٩). والعلاقة بين المعنى اللغوي الأول وبين المعنى الشرعي واضحة وهي علاقة مجازية في الحلال المرأة والطلاقها عن عقدة النكاح ومن خلال هذه الأمثلة لنا أن الألفاظ والمصطلحات الإسلامية قد تطورت من معنى عام الدلالة، وهو الأمر الذي تنبه إليه المفسرون منذ وقت مبكر.

مظاهر التطور الدلالي

ولعل أهم مظاهر التطور الدلالي تنحصر في:

1. رقي الدلالة الرفي في اللغة هو الارتفاع والسمو، وفي الاصطلاح تعني أن الألفاظ ذات الدلالة المنحطة قد تتحول إلى دلالات راقية، ومن ذلك مارشال التي كانت في الماضي تعني محادم الإسطبل ، (أنيس ،

١٩٨٤) تغيرت دلالتها اليوم وأخذت مكانتها في الرتب العليا الشريفة، كما أن كلمتي ملاك ورسول كانتا تعني الشخص الذي يُرسل في مهمة مهما كان شأنها تطورت وأصبح لها دلالة سامية، و هكذا كلمة البيت التي كانت تعني السكن المصنوع من الشعر (بيت الشعر)، أو المسكن البسيط، أصبحت تدل على المسكن الضخم متعدد الطوابق كما كانت كلمة الفائن تعني الفصل بين الجيد والرديء من الذهب والفضة، فعلت منزلتها إلى معنى أسمى إذ أصبحت تُطلق على ما يبهر في جماله.

وخلاصة الأمر أن ألفاظ اللغة تتغير معانيها تبعاً الأزمان والمراحل التي تمر بها اللغة وفقا لحاجة الناس إلى معانٍ جديدة (الحازمي، ١٤٢٤).

2. انحطاط الدلالة: يحدث أحياناً أن يكون للفظ معنى راقي إلا أنه بمرور الزمن ولظروف اجتماعية تنحط دلالته وتصبح مبتذلة الحازمي، ١٤٢٤)، فكلمة النسوان، وهو جمع المرأة من غير لفظها؛ كانت ساعت هذه الكلمة على السنة الشعراء قدنا، كما في قول عمر بن ربيعة: إن قلبي بعد الذي نال منها كلمنى من سائر النسوانأما الآن فقد صارت مستهجنة، سواء أكان ذلك في المستوى الأدبي للغة أم في الخطاب العادي في بعض البلاد كمصر مع أنها تشيع في الخطاب اليومي في بعض البيئات، كما في بلاد الشام التي لا يرى أهلها حرجًا أو غضاضة في استعمال الكلمة وأيضا تركيب طول اليد التي كانت تدل على الكرم والسخاء، فقد سأل رسول الله بعض أزواجه أينا أسرع ملحقاً بك يا رسول الله ؟ فقال : أطولكنَّ يداً (اين سعد، ٢٠٠١) وهي اليوم تطلق على السارق فنقول هذا صاحب يد طويلة .
3. تخصيص الدلالة :ويتضح في كلمة الحج كما ذكرتها أنها، إذ كانت تعني القصد، فكان يقال: حج إلينا فلان، أي قديم، وحججت فلان، أي: قصدته، ثم استقر استعماله القصد إلى مكة لنست و الحج إلى البيت خاصة. (ابن منظور، ١٩٩٥) وأيضا كلمة السبت فهي في اللغة يعني الدهر، فحص في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع. وكذلك تخصصت كلمة الحريم، فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس أصبحت الآن تطلق على النساء.
4. تعميم الدلالة : كما في كلمة الخمر؛ إذ كانت تعني ما أسكر من عصير العنب، ثم عممت الدلالة فصارت تعني كل مسكر وفي اللغة يطلق على الطفل إذا فقد والده قبل البلوغ يتيم، وإذا فقد والدته العجي، وإذا فقد الاثنين فهو لظيم (ابن منظور،1995) عممت دلالة اليتيم على الدلالات السابقة.
5. توسيع الدلالة : ويتجلى ذلك في الألفاظ التي تكتسب معاني جديدة لم تكن لها أي كانت محصورة في معاني ،محدودة، وهي ما تدخل في إطار المشترك اللفظي(الحازمي، ١٤٢٤)، وما في ذلك من الألفاظ الدالة على الرتب العسكرية، لنحوة ملازم، ونقيب...إلخ. ويؤدي المجاز هنا دورا مهما في توسيع دلالة بعض الألفاظ، فنحن نقول رأس الأمرة ورأس الجبل، وفي المجال الرياضي رأس الحربة.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

أبو عودة، عودة خليل. (1405) *التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن*، مكتبة المنار – الطبعة الأولى.

أنيس، ابراهيم. *الأصوات اللغوية*. مكتبة لحضة مصر.

أنيس، ابراهيم. (١٩٨٤) *دلالة الألفاظ الطبعة الخامسة*. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،.

الدابولي. (١٩٩٥) *في فقه اللغة العربية*، الطبعة الأولى،التركي.

الزمخشري أبي القاسم حار الله محمود بن عمر أحمدة أسلم البلاغة، المحقق: محمد باسل عيون السود، در الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

الرضي، الشريف. (1997) مسائل الناصريات التحقيق مركز البحوث والدراسات العلمية، الناشر : رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية،

الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: ١٩٩٧م.

القويدرة، محمود مصطفى أحمد. (1999) *البحث الدلالي عند المراغب الأصفهاني*، دار الكتب والوثائق العرقية،.

بن جريرة، الطيري محمد. *جامع البين عن تأويل القرآن*، محمود شاكر أبو فهر - أحمد شاكر أبو الأشبال مكتبة ابن تيمية.

بن زكريا، أبي حسن أحمد بن فارس. (١٩٩٧) *الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*، علق عليه : أحمد حسن بسح - در المكتبة العلمية - بيروت لبنان .

بن محمد، عليان. (١٤٢٤) *بحث علم الدلالة عند العرب*، جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

وني، علي عبد الواحد، *علم اللغة*. دار الهضة مصر، د.ت.

رمضان ،البع محمد. (٢٠٠٨) *ألفاظ السجود في القرآن الكريم* - دراسة لغوية - كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة.

محمد، قدور أحمد. (1981) *في الدلالة والتطور الدلائي مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد السادس والثلاثون*. عمان.

منظور، ابن. (١٤٠٥) *لسان العرب: العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري*. الناشر: نشر أدب الحوزة.